وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة

قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

الدراسات العليا

آراء الإمام النَّووي التفسيرية في كتابه المجموع (جمعاً ودراسةً)

رسالة مقدَّمة

إلى مجلس كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وَهِيَ من متطلبات

نيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصُّص (تفسير)

من قبل الطالب

عبدالجبار ستار ابراهيم

بإشراف

أ. د منشد فالح وادي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

سورة آل عمران: ٧

الإهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

والديّ العزيزين أدامهما الله ليّ ذخراً ودعوة صادقة.

.... مـن سـاندتني وخطـت معـي خطـواتي ويسـرت لـي الصـعاب زوجتي العزيزة.

.... أولادي قرة عيني حفظهم الله ووفقهم لكل خير.

.... أساتذتي وأهل الفضل عليّ الذين غمروني بالحب والتقدير والنصيحة والإرشاد وأخص منهم بالذكر من ساندني الدكتور **(منشد فالح وادي)**.

.... إخوتي وأخواتي حفظهم الله .

..... من تحلَّوا بالإخاء وارتقوا بالوفاء رفقاء الدرب زملائي وزميلاتي.

الباحث

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى ونشكره على نعمه وكثير فضله، أن أنعم عليَّ بهذه النعمةِ والفضيلة، لإتمام رسالتي ووَفَّقني من بين سائر خلقه لخدمة كتابه.

كما أتوجه بشكري الخالص إلى أستاذي الفاضل **(أ.د منشد فالح وادي)** من أجل مابذله معي من مجهود وماقام بمساعدتي في هذا المجال.

والشكر موجه إلى عميد كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة **(أ.د عمر عبدالله نجم الدين الگيلاني)** لتسهيلهُ على الطلبة الخدمات المطلوبة والتي من شأنها أن تجعل لهم فضاءً مريحاً للدراسة وطلب العلم.

والشكر الوافر لجميع أساتيذ كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة عامَّة،وأساتيذ قسم علوم القرآن خاصَّة، لما أبدوه من نصائح قيِّمة.

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى كُلّ من مَدَّ لنا يد العون والمساعدة ولو بنصيحة أو دعاء ممن ذكرناه ولم نذكره، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

الباحث

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ(اراء الامام النووي التفسيرية في كتابه المجموع جمعا ودراسة) الَّتي قدَّمها الطالب (عبدالجبار ستار ابراهيم) قد جرى بإشرافي في كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلَّبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة (تخصص تفسير).

المشرف

أ.م. د. منشد فالح وادي

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

– توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة:

بناءً على التوصيات المتوافرة، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة.

أ.م.د احمد عبود علوان

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

التاريخ: / /٢٠٢٢م

أ.م.د فاضل أحمد حسين

معاون العميد للشؤون العلمية

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (آراء الإمام النَّووي التفسيرية في كتابه المجموع (جمعاً ودراسةً)) التي قدّمها الطالب (عبد الجبار ستار ابراهيم) إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية. وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)

وبتقدير ( ) .

أ. د عماد اموري جليل
التاريخ: / / ٢٠٢٢م
رئيسًا

أ. د علي عبد كنو
التاريخ: / / ٢٠٢٢م
عضواً

أ. م. د. نور نظام الدين الكيلاني
التاريخ: / / ٢٠٢٢م
عضوًا

أ. د. منشد فالح وادي
التاريخ: / / ٢٠٢٢م
عضواً ومشرفًا

صادق على الرسالة مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى

بتاريخ: / / ٢٠٢٢م.

الأستاذ الدكتور
عمر عبد الله نجم الدين

المحتويـات

ت	الموضـــوع	رقم الصفحة
١.	الآية القرآنِيَّة	ب
٢.	الاهداء	ج
٣.	الشكر والتقدير	د
٤.	اقرار المشرف.....	هـ
٥.	اقرار لجنة المناقشة	و
٦.	المحتويات	ج – ط
٧.	**المقدمة والتمهيد**	١ – ٢٠
٨.	**اولا:** تعريف التفسير لغة واصطلاحاً	٨
٩.	**ثانيا:** التعريف بالإمام النووي/اسمه/ مولده / وفاته /حياته العلمية/شيوخه/ تلاميذه / أقوال العلماء فيه/ منهجه في التفسير/ اثاره العلمية	٨ –١٩
١٠.	**ثالثا:** التعريف بكتاب المجموع.	١٩
١١.	**الفصل الاول**	٢١ – ٦٨
١٢.	**الفصل الأول** : آراءه المتعلقة بالعقيدة.	٢٢ – ٤٣
١٣.	**المبحث الأول:** آراءه التفسيرية المتعلقة بقضايا الاسماء والصفات.....	٢٢
١٤.	**المطلب الأول: رأي الإمام النَّووي في الخوض في آيات الصفات وتفسيرها**.....	٢٢

١٥.	**المطلب الثاني:** رأيه في الاستواء.	٢٩
١٦.	**المطلب الثالث:** رأيه في الفطرة.	٣٥
١٧.	**المبحث الثاني:** آراؤه المتعلقة بمسائل الإسلام و الإيمان.....	٤٤ – ٦١
١٨.	**المطلب الأول:** آراؤه المتعلقة بمسائل الاسلام و الايمان.....	٤٤
١٩.	**المطلب الثاني:** أحكام الردة.	٥٤
٢٠.	**المبحث الثالث:** رأيه في نجاسة المشرك.....	٦١
٢١.	**الفصل الثاني** **آراؤه التفسيرية المتعلقة بآيات الأحكام**	٦٩–١٤٨
٢٢.	**المبحث الأول: أحكام الطهارة والصلاة**	٧٠
٢٣.	**المطلب الأول:** آراؤه في أحكام الطهارة.....	٧٠
٢٤.	**المطلب الثاني:** آراؤه المتعلقة في أحكام الوضوء.	٧٩
٢٥.	**المطلب الثالث:** رأيه في ترتيب الوضوء.....	٨٦
٢٦.	**المطلب الرابع:** رأيه بقوله (وامسحوا برؤوسكم وارجلكم).....	٩١
٢٧.	**المطلب الخامس:** رأيه بالتيمم.....	١٠٣
٢٨.	**المبحث الثاني:** آراؤه المتعلقة بالصلاة.....	١١٢
٢٩.	**المطلب الأول:** آراؤه المتعلقة بقصر الصلاة	١١٢
٣٠.	**المطلب الثاني:** رأيه بقوله تعالى (وذكر اسم ربه فصلى).....	١١٨
٣١.	**المطلب الثالث:** رأيه بالصلاة الوسطى.....	١٢٣
٣٢.	**المبحث الثالث:** رأيه بالصيام والزكاة والحج.....	١٣٢
٣٣.	**المطلب الأول:** آراؤه المتعلقة بالصيام.....	١٣٢

٣٤. **المطلب الثاني:** آراؤه المتعلقة بالزكاة..... ١٣٩

٣٥. **المطلب الثالث:** آراؤه المتعلقة بالحج..... ١٤٥

٣٦. **الفصل الثالث** ١٤٩-١٨١

آراؤه في قضايا تفسيرية متنوعة

٣٧. **المبحث الأول** : آراؤه المتعلقة بقضايا نحوية..... ١٥٠

٣٨. **المطلب الأول:** آراؤه المتعلقة بلفظ الدلوك ١٥٠

٣٩. **المطلب الثاني:** آراؤه المتعلقة بلفظ الشرك..... ١٥٨

٤٠. **المبحث الثاني:** آراؤه المتعلقة بالقراءات. ١٦٥

٤١. **المطلب الأول** : آراؤه المتعلقة بالقراءة المتواترة في قوله (لمستم)..... ١٦٥

٤٢. **المطلب الثاني:** آراؤه المتعلقة بالقراءة الشاذة. ١٧٣

٤٣. **المطلب الثالث:** آراؤه المتعلقة بترتيل القرآن. ١٧٧

٤٤. الخاتمة..... ١٨٢-١٨٣

٤٥. المصادر والمراجع..... ١٨٤-٢٠٢

٤٦. الملخص باللغة الانكليزية..... ٢٠٣

٤٧. الواجهة باللغة الانكليزية..... ٢٠٤

المُقَدِّمَة

المقدمة

.....

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينهُ ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما.

أما بعد:

فإنَّ أولى ما صرفت فيه نفائس الأوقات هو كتاب الله تعالى ، ومن المعلوم أنَّ التفسير من أهم العلوم وأشرفها قدراً لتعلَّقه بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفهِ، ولقد أفنى العلماء أعمارهم في دراسة آياته، واستنباط أحكامه، ولقد كان الإمام النَّووي مع شهرته بالفقه من أشد المتعلقين بعلم التفسير وهذا ما بينته في رسالتي هذه التي تناولت فيها سيرة العلماء العاملين ، والأئمة الكاملين ، الذين زينَّهم الله عزَّ وجلَّ بالعلم واليقين وأبقى لهم من الثناء الحسن والذكرى العطرة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1]. أي مودة ومحبة ، فيحبهم الله عزَّ وجلَّ وحببهم إلى عباده، عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قالَ: قيل لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– ((أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده النَّاسِ عليه قال تلكَ عاجلُ بشرى المؤمنِ))[2].

وإمامنا النَّووي من أوفر العلماء نصيباً من هذه المحبة ومن ثناء الخلق ، والدَّارسُ لترجمته (رحمه الله) يرى فيه من الزهد، والورع والحرص على طلب العلم النافع والعمل الصَّالح والقوة في الجهر بالحقِّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخشية والمحبة لله عزو وجل ولرسوله(صلى الله عليه وسلم) ما يُبِّين سرَّ هذه المحبة التي تملأ قلوبَ الخلقِ.

---

(١) سورة مريم (الآية: ٩٦).

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الجيل ، بيروت، باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره ، (٤٤/٨)، رقم الحديث (٦٨٩١).

المقدمة

.....

لقد فاق الإمام النَّووي علماء عصره ومن المرجَّح أنَّه – رحمه الله –مات ولم يتعدَّ الخامسة والأربعين من عمره، وترك من الأثار العلمية والتقريرات والكتب المحررات ما فاق به علماء عصره وأئمة دهره.

أهمية الموضوع: تتبع أهمية الموضوع من أهمية الدراسات القرآنية في البحث العلمي كما أنّ آراء الإمام النَّووي في التفسير، والتي استخرجناها من كتابه المجموع تكتسب أهمية خاصة كون المجموع من أمهات المصادر الفقهية في المكتبة الإسلامية اذ يعدُّ مرجعاً أساسياً في الفقه الإسلامي لا سيما مذهب الإمام الشافعي ولأنَّ الكتاب يتسم بالموسوعية، فقد زخر بالأقوال التفسيرية التي تجلت من خلالها شخصيةُ الإمام النَّووي التفسيرية.

أسباب اختيار الموضوع: نظراً لإهمية هذه الشخصيَّة العلميَّة الفذّة فقد وقع اختياري على دراسة كتاب المجموع وهو من أهم كتبه ومن عمدة المذهب الشافعي، لما فيه من علميَّة وفوائدُ جمه فكان عنوان الموضوع (آراء الإمام النَّووي التفسيرية في كتابه المجموع جمعاً ودراسةً) ومن خلال هذا البحث استخرجتُ أقوال الإمام النَّووي التفسيريَّة وجمعتها وبوبتها.

إشكالية الدراسة: يمكن صياغة إشكالية البحث على شكل تساؤل مفاده: هل كان للإمام النَّووي آراء تفسيرية خاصة به تبين منهجه في التفسير، وتوضح الخطوات التي اتبعها في استنباط المعاني والأحكام من الآيات القرآنية.

اهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى إبراز شخصية الإمام النَّووي التفسيرية، وتسليط الضوء على منهجه، وطريقتهِ في تناول تفسير الآية وطريقته في الاستنباط من القرآن الكريم.

منهج البحث: وقد استخدمتُ المنهج التحليلي واتبعت الخطوات الإجرائية التالية:-

.....

١-تخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢-تخريج الاحاديث النبوية من كتب الحديث وبيان حكم الحديث.

٣-تخريج أقوال العلماء من كتبهم والتركيز على إخراج الآراء الفقهية لكل مذهب من الكتب الفقهية المعتمدة في هذا المذهب.

٤-تخريج الأبيات الشعرية واسنادها الى قائليها من خلال الرجوع الى دواوينهم.

٥-جمع أقواله التفسيرية لتكون مرجعا للباحثين والدارسين.

٦-ولم اتطرق إلى التعريف بالشخصيات الواردة في الرسالة لعدم اثقال الهامش وأغلب الشخصيات المذكورة معروفه ولا تحتاج إلى تعريف.

٧-وقد استعنت بالمعاجم العربية مثل معجم العين ولسان العرب ومعجم مقايس اللغة.

الدراسات السابقة:

١-آيات الأحكام في المجموع للنووي من سورة الفاتحة الى سورة النساء- رسالة ماجستير- عادل سليمان أحمد ضحوي، جامعة ام القرى، كلية أصول الدين ،عام ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ.

٢-تفسير الإمام النَّووي جمع ودراسة، اطروحة دكتوراه / ملفي بن ناعم بن عمران التصاعدي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القران الكريم والدراسات الإسلامية، ١٤١٨هـ.

٣-الإمام النَّووي وآراؤه التفسيرية من خلال كتاب المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، رسالة ماجستير، أحمد بن عبد الفتاح الحجيري، جامعة مؤتة، قسم أصول الدين، ٢٠١٤م.

المقدمة

.....

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة في استخراج أقوال الإمام النَّووي وآرائه من كتابه المجموع حصراً. من بداية الكتاب إلى كتاب الحج، علماً إنَّ الإمام النَّووي لم يكمل كتاب المجموع ولكن وصل فيه الى باب الربا فوآفاهُ الأجل ثم أكمله السبكي والمطيعي.

خطة البحث: احتوى البحث على مقدمة ، تمهيد وثلاثة فصول:

تناول الفصل الأول / آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الأول : آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بقضايا الأسماء والصفات.

المطلب الأول : آراؤه التفسيرية المتعلقة في الخوض في آيات الصفات.

المطلب الثاني: آراؤه التفسيرية المتعلقة في الاستواء.

المطلب الثالث :آراؤه التفسيرية المتعلقة في معنى الفطرة.

المبحث الثاني: آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بمسائل الإسلام والإيمان

المطلب الأول : آراؤه التفسيرية المتعلقة بالإسلام والإيمان.

المطلب الثاني :آراؤه التفسيرية المتعلقة بأحكام الردة.

المطلب الثالث: آراؤه التفسيرية المتعلقة بنجاسة المشرك.

الفصل الثاني: آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بآيات الأحكام.

المبحث الأول : آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بالطهارة والصلاة.

المطلب الأول: آراؤه التفسيرية المتعلقة بأحكام الطهارة.

المقدمة

.....

المطلب الثاني: آراؤه التفسيرية المتعلقة في احكام الوضوء.

المطلب الثالث: آراؤه التفسيرية المتعلقة في ترتيب الوضوء.

المطلب الرابع: آراؤه التفسيرية المتعلقة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ .

المطلب الخامس: آراؤه التفسيرية المتعلقة بالتيمم.

المبحث الثاني : آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة والصيام بالحج والزكاة.

المطلب الأول: آراؤه التفسيرية المتعلقة الصيام.

المطلب الثاني: آراؤه التفسيرية المتعلقة بالحج.

المطلب الثالث: آراؤه التفسيرية المتعلقة بالزكاة.

الفصل الثالث: آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية في قضايا تفسيرية متنوعة.

المبحث الأول: آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بالقضايا اللغوية.

المطلب الأول: آراؤه التفسيرية المتعلقة بمعنى الدلوك.

المطلب الثاني: آراؤه التفسيرية المتعلقة بمعنى الأشراك.

المبحث الثاني: آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بالقراءات.

المطلب الأول : آراؤه التفسيرية المتعلقة بالقراءة المتواترة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾

المطلب الثاني: آراؤه التفسيرية المتعلقة بالقراءة الشاذة.

المطلب الثالث: آراؤه التفسيرية المتعلقة بترتيل القرآن.

.....

وخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها مشفوعة بتثبيت للمصادر والمراجع التي ساعدتني في إتمام هذه الرسالة والحمد لله أولاً وآخراً.

.....

التعريف اللغوي والاصطلاحي للتفسير

أولا: تعريف التفسير لغة واصطلاحا:

أولاً: لغةَ: (فسر) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته [١]، والتفسير البيان [٢].

ثانياً: اصطلاحاً: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك[٣] ، وقيل أنَّه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية [٤].

ثانيا: التعريف بالإمام النَّووي:

١ – اسمه: هو أبو زكريا يحيى بن الشيخ الزاهد الورع وليّ الله أبو يحيى شرف بن مرّي، بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي [٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (٤٠٥/٤)، مادة: (فسر).

(٢) مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت ، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، (ص٢٣٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ، (٢٦/١).

(٤) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣،(د.ت) ، (ص٣/٢).

(٥) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي: علي بن إبراهيم المعروف بابن العطار(ت ٧٢٤هـ)، (١/١).

.....

٢- **مولده:** ولد في قرية نوى[١] في العشر الأوسط من شهر محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة(٦٣١هـ) [٢].

٣_ **نشأته:** نشأ الإمام النَّووي- رحمه الله- ، وكان كثير التعبد والتلاوة مقبلاً على الله معرضاً عن الدنيا، وكأنَّه قد اختاره الله لخدمة الدين وحمل الإرث النبوي، وما حكاه تلميذه ابن العطار:(إنّ الإمام كان سالكاً طريقة السلف، حيث قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل بالعلم وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلاَّ أكلة بعد عشاء الآخر ة ولا يشرب إلاَّ شربة واحدةً عند السحر، ولم يتزوج، وقد ولي دار الحديث الأشرفية بعد موت أبي شامة سنة خمس مائه و خمس وستين إلى أنْ توفي ولم يأخذ لنفسه شيئا)[٣]. قال المراكشي- رحمه - الله قال: (رأيت الشيخ محيي الدين، وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي، لإكراههم، ويقرأ القرآن في هذه الحالة فوقع في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن، فوصيته به، وقلت له: هذا الصبي يرجى أنْ يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنَّما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أنْ ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام)[٤]. وكان والد والد الإمام النَّووي، من الصالحين، مقتنعاً بالحلال، يزرع له أرضاً يقتات منها هو وأهله. وكان يمّون الشيخ محي الدين- رحمه الله -تعالى منها يرسل له مؤنته وقتاً

---

(١) قرية في دمشق.

(٢) ينظر: تحفة الطالبين : (١/١).

(٣) طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي ،تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ، (١٥٦/٢).

(٤) تحفة الطالبين : (٢/١).

.....

بوقت، ولا يأكل من عند غير أبيه، لما يعلمه من صلاحه، واستعماله الحلال الخالص، وكان خيراً لا يأكل شيئا فيه شبهة، ولا يطعم أولاده إلاَّ مما يعرف حله.[١]

٣-حياته العلمية:

بدأ حياته العلمية في بلدته نوى بقراءة القرآن الكريم وقد ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام، ولما لم تكن بلدة نوى تلبي حاجته في تلقي العلم الواسع فقد ارتحل مع والده إلى دمشق ليأخذ عن علمائها، إذ كانت في ذلك الوقت تزخر بالعلماء والمدارس المهيأة لطلاب العلم فاجتهد في طلب العلم حتى ضرب به المثل في إكبابه على طلب العلم ليلاً ونهاراً وهجره النوم عن غلبة وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة أو المطالعة أو التردد الى الشيوخ [٢]. وقد نقل عنه تلميذه ابن العطار حديثه عن حياته العلمية المتميزة حيث قال: (قال لي الشيخ لما كان عمري تسعة عشر سنة قدم بي والدي إلى دمشق فسكنت المدرسة الرواحيه)[٣] ، قال:(وجعلت أشرح وأصحح على شيخي الإمام الزاهد العالم الورع ذي الفضائل والمعارف: أبى إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي- رحمه- الله تعالى، ولازمته، قال: فأعجب بي لما رأى من اشتغالي وملازمتي وعدم اختلاطي بالناس، وأحبني محبة شديدة وجعلني أعيد الدرس لأكثر الجماعة، قال: كنت أقرأ كل يوم أثنى عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، درسين في الوسيط ودرساً في المهذب. ودرساً في (الجمع بين الصحيحين)، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في (اللَّمع) لأبن جني

---

(١) ينظر: ذيل مرآة الزمان: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت: ٧٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ط٢، ١٤١٣هـ ،(١٨٤/٤).

(٢) ينظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، (ص١٤).

(٣) الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ) تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ ،(١٩٩/١).

.....

في النحو، ودرساً في (إصلاح المنطق) لأبن السكيت في اللغة، ودرساً في التصريف ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، قال: وكنت أعلق ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضح عبارة، وضبط لغة)[١].

قال الإمام النووي –رحمه الله– :(وبارك الله لي في وقتي واشتغالي وأعانني عليه قال: وخطر لي الاشتغال بعلم الطب فاشتريت كتاب القانون فيه، وعرضت على الاشتغال فيه، فاظلم عليَّ قلبي، وبقيت لا أقدر على الاشتغال بشيء ففكرت في أمري، ومن أينْ دخل عليَّ الداخل، فألهمني الله تعالى أنَّ سببه اشتغالي بالطب فبعت في الحال الكتاب، وأخرجت من بيتي كل ما يتعلق بعلم الطب فأستنار قلبي، ورجع إلى حالي، وعدت على ما كنت عليه أولاً)[٢]، حج مع والده سنة إحدى وخمسين وست مائه، وذكر والده(فلمَّا قضينا مناسكنا ووصلنا إلى (نوى) ونزل إلى دمشق صبَ الله عليه العلم صباً، ولم يزل يشتغل بالعلم، والزهد والورع وعدم إضاعة شيء من أوقاته إلى أنْ توفى رحمه الله تعالى)[٣]، وقد نبغ الإمام النَّووي في فنون كثيرة من حديث وفقه ولغة وغيرها من العلوم، وقد قام الإمام النَّووي بالتدريس في مجموعة من المدارس، ثم ولي دار الحديث الأشرفية بعد أبي هشام المقدسي إلى أنّ مات ولم يتناول منه درهماً. ويعد الإمام النَّووي من كبار فقهاء الشافعية بل هو محرر المذهب ومهذبه ومنقحه ومرتبه فهو من المحققين في مذهب الشافعي وكتبه في الفقه من المراجع المعتبرة لدى فقهاء الشافعية، ومع تبحره في الفقه وإمامته فيه

---

(١) تحفة الطالبين : (٢/١).

(٢) المصدر نفسه : (٥/١).

(٣) الصدر نفسه : (٢/١).

.....

فقد كان من كبار حفاظ الحديث ويشهد لهذا أنَّ الحافظ الذهبي ذكره في تذكرة الحفاظ وعده سيد الطبقة التي هو فيها[١].

٤-**شيوخه:** أخذ الإمام النَّووي عن شيوخ أجلاء وحفاظ كبار في مختلف العلوم: لا سيما الحديث والفقه أخذ عنهم بهمة عالية.

شيوخه في الفقه:

١ـ كمال الدين أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد المغربي، أحد مشايخ الشافعية وأعيانهم،(ت ٦٥٠) كان زاهدا متواضعا مؤثرا، كان ينسخ في كل رمضان ختمة ويوقفها[٢].

٢ـ شمس الدين أبو محمد عبدالرحمن بن نوح المقدسي المفتي تلميذ ابن الصلاح، كان فقيها مجوداً بصيراً بالمذهب، مدرساً، ولي تدريس الرواحية (ت ٦٥٤هـ)[٣]

٣ـ كمال الدين أبو الحسن سلار بن الحسن الإربلي، تلميذ ابن الصلاح ، كان عليه مدار الفتوى في وقته ولم يترك بعده في بلاد الشام مثله، (ت ٦٧٠هـ) [٤].

---

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، (١٦٠/٤).

(٢) ينظر: طبقات الشافعيين: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٣هـ، (٨٥٤/١).

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م،(٧٥٨/١٤).

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)،تح: محمود محمد الطناحي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، (١٤٩/٨).

.....

شيخه الذي أخذ عنهم أصول الفقه

١_ العلامة القاضي أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي بن محمد التفليسي، وبرع في المذهب توفي سنة (٦٧٢هـ)[١] .

اللغة والنحو الصرف[٢]

١_ فخر الدين بن المالكي رضي الله عنه (ت ٦٤٣هـ).

٢_ الشيخ أبو العباس أحمد بن سالم المصري النحوي اللغوي التصريفي (ت٦٦٤هـ).

٣_ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الجياني رحمه الله ، صاحب الألفيه في النحو(ت٦٧٢هـ).

شيوخه في الحديث الشريف[٣].

١_ الشيخ أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي،محدث، من الظرفاء الشعراء،ولد بنابلس، ورحل إلى بغداد. ثم ولي مشيخة النورية بدمشق، وتوفي بها،(ت٦٦٣هـ)[٤].

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٣٠٩/٨).

(٢) ينظر: تحفة الطالبين: (٥/١).

(٣) ينظر: تحفة الطالبين: (٥/١).

(٤) ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ")، دار العلم للملايين، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م(٣٠١/٢).

.....

٢_ الشيخ المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي قال فيه النووي: الفقيه الإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع الذي لم تر عيني في وقتي مثله صحبته نحو عشر سنين لم أر منه شيئا يكره توفي (٦٦٨هـ)[١].

١-**تلاميذه:** سمع منه خلق كثير وتخرج عليه كثير من العلماء وسار علمه وتصانيفه في الآفاق ومن اشهر تلاميذه:

١_ علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود الدمشقي المعروف بابن العطار،(ت ٦٥٦هـ).[٢].

٢- أمين الدين سالم بن أبي الدر عبدالرحمن بن عبدالله الدمشقي الشافعي،(ت ٦٩٨)[٣]

٢_ شهاب الدين أحمد محمد الدمشقي المعروف بابن جعوان (ت ٦٩٩هـ).

٣_ القاضي صدر الدين سليمان بن هلال الجعفري المعروف بخطيب داريا (ت ٧١٣هـ) .

٤_ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي،(ت٧٤٢).

---

(١) ينظر:طبقات الشافعية الكبرى : (١٢٢/٨).

(٢) ينظر: تحفة الطالبين : (٦/١).

(٣) ينظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨ هـ ، (٢٦١/١).

.....

٧_ أقوال العلماء في الإمام النَّووي(رحمه الله)

ما قاله العلماء رحمهم الله في الإمام النَّووي كثير نظراً لمكانته العلمية وجهده المعروف في ميدان العلم وشهرته بالزهد والعبادة من ذلك ما قاله عنه تلميذه ابن العطار :(أوحد دهره وفريد عصره، الصوام القوام، الزاهد في، الدنيا الراغب في الآخرة، صاحب الأخلاق المرضية والمحاسن السنية، العالم الرباني، المتفق على علمه، وإمامته وجلالته، وزهده، وورعه، وعبادته، وصيانته في أقواله وأفعاله، وحالته، له الكرامات الطافحة والمكرمات الواضحة، المؤثر بنفسه وماله للمسلمين، والقائم بحقوقهم وحقوق ولاة أمورهم بالنصح والدعاء في العالمين، وكان كثير التلاوة والذكر لله تعالى)[١].

وقال عنه قطب الدين الحنبلي: (الفقيه الشافعي المحدث الزاهد العابد الورع المتبحر في العلوم صاحب التصانيف المفيدة. كان أوحد زمانه في الورع والعبادة، والتقلل من الدنيا، ولإكبابه على الإفادة والتصنيف مع شدة التواضع، وخشونة الملبس والمأكل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى إنَّه واقف الملك الظاهر – رحمه الله- وحكى أنَّ الملك الظاهر قال عنه: أنا أفزع منه) [٢]. وقال عنه الإمام السيوطي: (كان إماماً بارعاً حافظاً متقناً اتقن علوماً شتى وبارك الله في علمه وتصانيفه لحسن قصده وكان شديد الورع والزهد أمَّاراً بالمعروف ناهياً عن المنكر تهابه الملوك تاركاً لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد أبي شامة فلم يتناول منها درهماً)[٣]. وقال اليافعي : (شيخ الإسلام ، مفتي

---

(١) ينظر: تحفة الطالبين : (١/١).

(٢) ذيل مرآة الزمان: (٣/ ٢٨٣).

(٣) طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، (ص٥١٣).

.....

الأنام ، المحدث المتقن المدقق النجيب الحبر المفيد القريب والبعيد، محرر المذهب وضابطه ومرتبه، أحد العباد الورعين الزهاد العالم العامل ، المحقق الفاضل، الولي الكبير، السيد الشهير، ذو المحاسن العديدة والسير الحميدة والتصانيف المفيدة، الذي فاق جميع الأقران، وسارت بمحاسنه الركبان واشتهرت فضائله في سائر البلدان، وشوهدنَ له الكرامات وارتقى في أعلى المقامات ، ناصر السنة ، ومتعمد الفتاوى، ذو الورع الذي لم يبلغنا مثله عن أحد في زمانه ولا قبله)[1]، وما قاله العلماء في الثناء على الإمام – رحمة الله- كثير جداً وإني اختصرت هذه الأقوال وذلك مراعاة الإسهاب وخشية الملل ومراعاة تعليمات الكتابة وضوابطها.

٦- منهج الإمام النَّووي في التفسير:

إنّ الإمام النَّووي لم يكن له تفسير مستقل وإنما فسر كثيراً من آيات القرآن في كتبه ولم ينقل عنه أنّه ألف تفسيراً مستقلاً للقرآن الكريم بأكمله وكان تفسيره للآيات في كتاب المجموع ملتزماً بالمنهج الصحيح في التفسير فيفسر القرآن بالمأثور: من تفسير القران بالقران، وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين، ويفسر القرآن كذلك بالرأي المحمود الذي تشهد له لغات العرب والسياق القرآني، والمطالع لكتاب المجموع يجد أنَّ الإمام النَّووي قد فسر الآيات الكريمة بالأحاديث النبوية واعتماده على صحيح الأحاديث عند تفسير تلك الآيات، حيث اتبع المنهج الآتي: فقد كان يورد استدلال الأخرين في الآية ثم يرد عليهم ويبين خطأ استدلالهم وذلك بالدليل مما يدل على غزارة علمه وطريقة الفريدة في الاستدلال، ثم أنَّه يغلب عليه ترجيح مذهب الشافعي، لكنه قد يخالفه في بعض المسائل ويرجح غيره إذا وجد الدليل في ذلك الاختيار أقوى، فإذا بان له دليل يخالف مذهبه أخذ به ولا يبالي

---

(١) الإمام النووي : نقلة عن أحمد فريد، (٦/١).

.....

بهذه المخالفة وتسمى ترجيحاته بالاختيارات، لأنَّه يعبر عنها بقوله: والمختار كذا، وقد يذكر الآية دليلاً لأصحاب المذهب كقوله: واحتج أصحابنا بقوله تعالى أو حجة أصحابنا قوله تعالى ثمَّ يؤيد ذلك أو يسكت عليه فيكون موافقاً لما قالوه وقد يخالف ما قالوا، ويختار غيره، ثم يتوسع في الكلام عن الآية، وما يستنبط منها بذكر أقوال الفقهاء، فيعزز القول في الآية بأقوال الفقهاء، وما استنبطوه منها، ويستشهد باللغة عند استدلاله بالآيات واستنباط الأحكام منها [1].

٧- آثاره العلمية:

لقد ترك الإمام النَّووي مؤلفات متقنة حازت الرضى والقبول في حياته وبعد مماته نفع الله بها وانتشر في الأقطار، وجلبت الى الأمصار من تلك المؤلفات:

١. منهاج الطالبين مختصر المحرر من أهم كتب الشافعية وأكثرها رصانة واتقان وقد جمع الرافعي والنَّووي بين مدرستي الفقه الخراسانية والبغدادية مطبوع.
٢. شرح صحيح مسلم، وسمه المنهاج شرح صحيح الأمام مسلم بن الحجاج، مطبوع.
٣. الاشارات إلى بيان الأسماء المبهمات، مخطوط .
٤. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، مطبوع بمجلد واحد.
٥. الأَذكار من كلام سيد الأبرار، المسمى حلية الأبرار وشعار الأخيار، كتاب مطبوع بمجلد واحد وجعله ابواب بدأ بباب فضيلة الذكر ثم ختمه بباب الاستغفار قال: تفاؤلا بأن يختم الله لنا به
٦. كتاب الأربعين: وهو جزء واحد مطبوع، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ابواب الدين، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بأن

---

(١) ينظر: آيات الاحكام في المجموع للنووي من سورة الفاتحة الى نهاية سورة النساء دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القران: عادل سليمان أحمد ضحوي، جامعة ام القرى كلية الدعوة واصول الدين.

.....

مدار الإسلام عليه،....ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد، ليسهل حفظها، ويعم الانتفاع بها.

٧. التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث. وهو كتاب مطبوع بمجلد واحد وهو مختصر لكتاب الارشاد لابن الصلاح .

٦. إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم، مطبوع مجلدين.

٧. تحرير ألفاظ التنبيه: كتاب مطبوع بمجلد واحد بين فيه اللغات العربية والمعربة والألفاظ المولدة والمقصورة والمحدودة وما يجوزان فيه المذكر والمؤنث وما يجوزان فيه المجموع والمفرد والمشتق وعدد لغات اللفظة وأسماء المسمى الواحد المترادفة العمدة في صحيح التنبيه.

٨. الإيضاح في المناسك الحج والعمرة وعليه: الإفصاح على مسائل الإيضاح على مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم .

٩. الإيجاز في المناسك، طبع بمجلد واحد .

١٠. التبيان في آداب حملة القرآن ومختصره. مطبوع بجزء واحد

١١. مسألة الغنيمة، مطبوع مجلد واحد .

١٢. الترخيص في الإكرام بالقيام، مطبوع مجلد واحد.

١٣. آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، مطبوع مجلد واحد.

١٤. روضة الطالبين وعمدة المفتين، مطبوع عدد الاجزاء ثمانية

١٥. المجموع في شرح المهذب، مطبوع.

١٦. تحرير الفاظ التنبيه، مطبوع بمجلد واحد.

١. شرح البخاري لم يتمه مطبوع وصل به الى باب الايمان .

٢. شرح سنن أبي داود. لم يتمه. وصل فيه الى اثناء الوضوء، مطبوع.

.....

٣. الأسناد على حديث الأعمال والنيات.

٤. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، مطبوع بمجلدين

٥. تهذيب الأسماء واللغات، رتب الكتاب على قسمين:

الأول: في الأسماء، والثاني: في اللغات، مطبوع بأربعة اجزاء

٦. طبقات الفقهاء، لتقي الدين ابن الصلاح هذبه ورتبه الإمام النووي وهو مطبوع.

٧. التحقيق: شرح مطول على التنبيه لم يطبع[١].

ثالثا: التعريف بكتاب المجموع:

يُسمى ((المجموع)) ويُسمى ((شرح المهذب)) فقد سماه الإمام النَّووي بعد أن استخار الله الكريم الرؤوف الرحيم في شرح كتاب "المهذب" وسماه "المجموع" الذي شرح فيه كتاب المهذب آنف الذكر لإبي إسحاق الشيرازي، ، وقد ذكر فيه جملاً من علومه الزاهرات، وبين فيه أنواعاً من فنونه المتعددات فمنها تفسير الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، والأثار، والفتاوى، والأحكام الاعتقادية والفرعية، والأسماء واللغات، والقيود والاحترازات، وغير ذلك من فنونه ، وبّين من الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها وغير ذلك من أقسامها مما يراه القارىء في كتاب المجموع[٢]. وكتاب المجموع من الكتب الموسوعية فهو في الأصل كتاب فقه لكنَّه مشتمل على كثير من الآيات وطرق الاستدلال والاستنباط والأحاديث واللغة، وغير ذلك فهو يعدّ كتاباً في الفقه المقارن لم يختصر المؤلف على ذكر مذهبه بل يذكر مذاهب العلماء وأقوالهم ويناقش ويرجح، يقول في مقدمته: (وأذكرُ في هذا الكتاب انْ شاء الله تعالى مذاهب السلف من

---

[١] تحفة الطالبين : (٦/١).

[٢]ينظر: المجموع شرح المهذب : (٣/١).

.....

الصحابة والتابعين فمن بعدهم من فقهاء الأمصار بادلتها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأجيب عنها مع الإنصاف إنْ شاء الله تعالى)[١].

ثم قال: (وقد كنت جمعت هذا الشرح مبسوطا جداً بحيث بلغ إلى آخر باب الحيض ثلاث مجلدات ضخمات ثم رأيت الاستمرار على هذا المنهاج يؤدي إلى سآمة مطالعه: ويكون سببا لقلة الانتفاع به لكثرته)[٢].

٨-وقد شَرع رحمه الله في تصنيف كتابه هذا في شعبان سنة اثنتين وستين وستمائة، (٦٦٢هـ) وتوفي رحمه الله قبل إتمامه حيث وصل فيه الى باب الربا، في تسعة مجلدات[٣].وقد شرع في إكماله جماعة لم ينهوه منهم تقي الدين السبكي حيث وصل إلى التفليس، في أربع مجلدات[٤].

وفاته: توفي ببلده نوى بعد ما زار القدس والخليل في رجب سنة ست وسبعين وستمائة(٦٧٦هـ) ودفن بها[٥]، (لما توفى رضي الله عنه أراد أهله وأقاربه وجيرانه أن يبنوا على ضريحه قبة وأجمعوا على ذلك، إذ جاء - رضي الله عنه - إلى أكبر امرأة من قرابته في النوم أظنها عمته، وقال لها قولي: لأخي والجماعة لا يفعلوا هذا الذي قد عزموا عليه من البنيان فإنهم كلما بنوا أشياء تهدمت عليهم، فانتبهت مزعجة فقصت عليهم الرؤيا لا فامتنعوا عن البنيان، وحوطوا على قبره بحجارة تمنع الدواب وغيرها)[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب: (٥/١).

(٢) المصدر نفسه: (٦/١).

(٣) ينظر: طبقات الشافعية: (١٥٦/٢).

(٤) ينظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي: (ص٣٠).

(٥) ينظر: المصدر نفسه: (١٥٦/٢).

(٦) تحفة الطالبين: (٢٧/١).

الفصل الأول

الفصل الأول: آراء الأمام النووي التفسيرية المتعلقة بالعقيدة

المبحث الأول: آراؤه التفسيرية المتعلقة في قضايا الأسماء والصفات

المبحث الثاني: آراؤه التفسيرية المتعلقة بمسائل الإسلام والإيمان

المبحث الثالث: آراؤه التفسيرية المتعلقة بنجاسة المشركين

.....

الفصل الأول:

آراء الإمام النووي (رحمه الله) التفسيرية المتعلقة بالعقيدة*

المبحث الأول:

آراؤه التفسيرية المتعلقة في قضايا الأسماء والصفات

المطلب الأول:

اولاً: رأي الإمام النَّووي في الخوض في آيات الصفات وتفسيرها :

ذكر الإمام النَّووي رحمه الله في المجموع مسألة الأسماء والصفات وبين اختلاف العلماء في هذه المسألة ولم يتطرق الإمام النَّووي الى ذكر أدلة المذهبين اللذين تطرق اليهما، بل كان كلامه على سبيل الإجمال، ولم يكن خافيا أنَّ الإمام رحمه الله كان ميّالاً الى التأويل في حالة الضرورة، المذاهب التي ذكرها في المجموع فهي كالاتي:

المذهب الأول: يذهب أصحاب هذا المذهب إلى جواز تأويل آيات الصفات وهو مذهب المتكلمين(١)، وهؤلاء اضطروا الى التأويل خشية الوقوع في التشبيه والتجسيم فصرفوا اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر هروباً من التشبيه، فوقعوا

---

*العقيدة لغة: قال ابن فارس: (العين، والقاف، والدال، أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، معجم مقاييس اللغة: (٨٦/٤)، مادة: (عقد).
العقيدة اصطلاحاً: جمعهاً عقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل، التعريفات: (١٥٢/١).
(١) ينظر: المجموع شرح المهذب: (٢٥/١).

.....

في التعطيل، فانكروا أنْ يكون لله وجهاً، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1] ، فأخبر أنَّ له سبحانه وجهاً لا يفنى ولا يلحقه الهلاك[2] وأنكروا أنْ يكون له يدان وقد ورد ذكرها في قوله سبحانه: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[3] يخبر تعالى ذكره بذلك أنّه خلق آدم بيديه[4]. وقد ورد في الحديث الشريف ((كلتا يديه يمين))[5]، ولا يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أنْ يقول القائل: عملت كذا بيدي ويعني به النعمة، وخاطب الله العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها، لا يجوز في خطاب أهل اللسان أنْ يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة بطل أنْ يكون معنى قوله تعالى: ﴿بيدي﴾ النعمة ، فثبتت اليد بلا كيف[6]، حكم كلام الله تعالى أنْ يكون على ظاهره وحقيقته ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلاَّ بقرينه صارفه، فقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[7]، على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين ولا يجوز أنْ يعدل به عن ظاهر اليدين إلى غيره إلاَّ بحجة[8]، وأنكروا أنْ تكون له عينان وقد ورد في قوله سبحانه:

---

(١) سورة الرحمن (الآية :٢٧).

(٢) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تح: فوقية حسين محمود ، دار الأنصار، القاهرة، ط١ ١٣٩٧ ،(١٢٠/١).

(٣) سورة ص (الآية ٧٥).

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، (٢٣٩/٢١).

(٥) صحيح مسلم: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر،(١٤٥٨/٣)، رقم الحديث:(١٨٢٧).

(٦) ينظر: الإبانة: (١٢٥/١).

(٧) سورة ص (الآية :٧٥).

(٨) ينظر: الإبانة: (١٣٩/١).

.....

﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾[1] ، وأنكروا أن يكون له سبحانه علم وقد ورد في قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾[2]، وأنكروا أنْ يكون له قوة وقد ورد في قوله سبحانه: ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[3] ونفوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إنَّ الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا))[4]. فقالوا: المراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية، وقربها من العباد، أو نزول مَلك من خواص ملائكته فينقل حكاية الرب. قيل: هذا من المتشابهات[5].

المذهب الثاني: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات في كتابه وما أخبر به رسوله صلى لله عليه وسلم في سنته، فقالوا نمررها كما جاءت من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[6]، وهذه عقيدة الأئمة الأربعة : أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم.

قال الإمام الأعظم: (إنَّ الله عالم بعلمه والعلم صفة أزليه وقادراً بقدرته والقُدرة صفة أزليه ومتكلماً بكلامه والكلام صفة أزليه وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة أزليه وفاعلاً بفعله والفعل صفة أزليه والفاعل هُو الله تعالى والفعل صفة أزليه،

---

(١) سورة القمر (الآية: ١٤).

(٢) سورة النساء(الآية: ١٦٦).

(٣) سورة الذاريات (الآية: ٥٨).

(٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية ، ط١، ١٤٢٢هـ: (٥٣/٢)، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم الحديث: (١١٤٥) .

(٥) شرح سنن أبي داود: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، تح: خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ،١٩٩٩ م، (٢٢٢/٥).

(٦) ينظر: المجموع شرح المهذب: (٢٥/١).

.....

والمفعُول مخلُوق وفعل الله تعالى غير مخلُوق)[١] ، وقال ايضاً: (وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القُرآن، فذكر الوجه واليد والنّفس فهي لهُ صفات بلا كيف، ولا يُقال إنَّ يده قدرته أو نعمته لأنَّ فيه إبطال الصّفة وَهُوَ قَول أهل الْقدر والاعتزال وَلَكِن يَده صفته بِلَا كَيفَ وغضبه وَرضَاهُ صفتان من صفاته تَعَالَى بِلَا كَيفَ)[٢]، أمّا الإمام مالك فقد روي عنه أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[٣] قَالَ: (الاستواء غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإيمان بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ....)[٤] وأما مذهب الإمام الشَّافِعِيَّ أنَّه يثبت ما اثبته الله لنفسه وما ورد على لسان نبيه _صلى الله عليه وسلم_ فقال:(نُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا القُرْآنُ، وَوَرَدَتْ بِهَا السُّنَّةُ، وَننفِي التَّشبيهَ عَنْهُ كَمَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ[٥]، فَقَالَ: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٦]، فَهَذِهِ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَالْمُتَشَابِهُ مِثْلُ قَوْله تَعَالَى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[٧] ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[٨]﴿قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾[٩]، فالشَّرِيعَةَ وَرَدَتْ

---

(١) الفقه الأكبر: لأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ)، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ط١، ١٤١٩هـ ،(٢٧/١).

(٢) ينظر: الفقه الأكبر: (٢٧/١).

(٣) سورة طه (الآية: ٥).

(٤) الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تح عبد الله بن محمد الحاشدي مكتبة السوادي، جدة – السعودية .، ط١ ١٤١٣ هـ ،(٣٠٥/٢) .

(٥) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ ،(٢٠ /٣٤١).

(٦) سورة الشورى (الآية :١١).

(٧) سورة طه (الآية: ٥).

(٨) سورة الفتح (الآية ١٠).

(٩) سورة الرحمن (الآية: ٢٧).

.....

بِلِسَانِ الْعَرَبِ فَتَتَوَقَّفُ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِهَا عَلَيْهِ[١]، قال الإمام أحمد في قول النبي صلى الله عليه وسلم («إن الله ينزل إلى السماء الدنيا»، أو «إن الله يُرى في القيامة» ، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} ، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتثبيت القرآن)[٢].

ثانيا: المعنى العام للآيات الواردة بالأسماء والصفات: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[٥]. ذكر الله جلّ جلاله في هذه الآيات الكريمة أسماء وصفات وهو أعلم بما ذكر وأسماؤه غاية في الحسن وصفاته تباين صفات المخلوقين فهذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأنّ له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن،

---

(١) ينظر: التجريد لنفع العبيد : حاشية البجيرمي على شرح المنهج، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي(ت ١٢٢١هـ) ،مطبعة الحلبي، القاهرة، ط، ١٣٦٩هـ ،(٣٤٦/٤) .

(٢) لمعة الاعتقاد: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ .

(٣) سورة القلم (الآية: ٤٢).

(٤) سورة الفجر (الآية: ٢٢).

(٥) سورة المائدة (الآية:٦٤).

.....

وضابطه: أنّه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنَّها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إمّا صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها. وذلك نحو ﴿العليم﴾ الدال على أنَّ له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. و ﴿كالرحيم﴾ الدال على أنَّ له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء. ﴿القدير﴾ الدال على أنّ له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك(١).

الترجيح: تبين أنَّ الإمام النَّووي لم يكن ميالاً إلى التاؤيل إلاَّ عند الضرورة وهذه طريقةُ السابقين أوْ جماهيرهمْ، وهي أسْلمُ إذْ لا يُطالبُ الإنسان بالْخوْض في ذلك فإذا اعْتقد التّنْزيه فلا حاجة إلى الْخوْض في ذلك والْمُخاطرة فيما لا ضرُورة بلْ لا حاجة إليْه فإنْ دعتْ الْحاجةُ إلى التّأْويل لردّ مُبْتدعٍ ونحْوه تأوّلُوا حينئذٍ: وعلى هذا يُحْملُ ما جاء عنْ الْعُلماء في هذا والله أعلم (٢). إذا أثبتنا له الصفات التي وردت في القران والسنّة هذا لا يعني إنّا شابهناه بخلقه لأنّا نعتقد أنّ الله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ وأنّه منزه عن الحلول وسمات الحدوث، ولا يكون تجسيمنا لآن الله هو أثبت لنفسه هذه الصفات وكما يعلم القارئ الكريم أنّ الكلام مبني على الحقيقة ولا تصرف عنها إلاَّ قرينه صارفه، ولأن الأئمة الأربعة أثبتوا لله ما أثبته لنفسه، وكذلك كثير من الأئمة تراجعوا وتمنوا أنْ يموتوا على دين العجائز أو مذهب العجائز، قال الإمام الرازي: (لقد تأملت تلك الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للسعدي (ت ١٣٧٦هـ) تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ،ط١ ،(١٤٢٠)، (٣٠٩/١).

(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب : (٢٥/١).

.....

ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن، أقرأ في الأثبات ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1]، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2]، وأقرأ في النفي ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[3]، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾[4]، ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي)[5].

(١) سورة طه (الآية: ٥).

(٢) سورة فاطر(الآية: ١٠).

(٣) سورة الشورة (الآية : ١١).

(٤) سورة طه الآية: ١١٠).

(٥) طبقات الشافعية: (٦٦/٢)، سير أعلام النبلاء: (٥٠١/٢١)، ينظر: قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن حمد العباد البد دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ (٣٣/١).

.....

المطلب الثاني:

اولاً: رأي الأمام النَّووي (رحمه الله) بالاستواء:

الإمام النَّووي رحمه الله عندما ذكر المذاهب في مسالة الأسماء والصفات وذكر الاستواء: (فيقال مثلاً نؤمن بأنَّ الرحمن على العرش استوى ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به مع أنّا نعتقد أنَّ الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾[1]، وأنَّه منزه عن الحلول وسمات الحدوث)، فكان الإمام النَّووي- رحمه الله- يميل الى إبقاء معنى الاستواء وعدم تأويل معناه الحقيقي[2].

تعريف الاستواء لغةً: الاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار. قال الجوهري: (واستوى من اعوجاج، واستوى على ظهر دابته، أي علا واستقر)[3].

الاستواء شرعاً: الاستواء: الاعتدال والاستقامة، من استوى العود إذا قام واعتدل، واستوى إليه قصده قصداً مستوياً لا اعوجاج فيه،[4]. فالاستواء عند الفقهاء : من سوى الشيء، فالاستواء: الاعتدال والاستقامة[5].

---

(١) سورة الشورى (الآية: ١١).

(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب: (٢٥/١).

(٣) صحاح اللغة وتاج العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ، (٢٣٨٥/٦)، مادة: (سوى).

(٤) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين المناوي (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ،(ص٥٠).

(٥) ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ،(ص٦٦).

.....

ثانيا: المعنى العام الآية الواردة في الاستواء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾[1].

الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها ﴿اسْتَوَى﴾ استواء يليق بجلاله ويناسب عظمته وجماله، فاستوى على العرش واحتوى على الملك يخبر تعالى عن انفراده بالخلق والتدبير، والعظمة والسلطان الدال على أنَّه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلاَّ له[2].

ثالثاً: اراء أهل التفسير في معنى الاستواء: اختلف أهل التفسير في معنى الاستواء على مذهبين مختلفين وهما:

الأول: قال إنّ الاستواء اذا عديته ب(على) فهو بمعنى العلو والاستعلاء والاستقرار وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى﴾[3] تَعَالَى ذِكْرُهُ: الرَّحْمَنُ عَلَى عَرْشه ارْتَفَعَ وَعَلَا[4]، ثُمَّ استوى على العرش: يعني استقر على العرش[5]، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلا السماوات، فهو على العرش – سبحانه وتعالى – كما أخبر بلا كيف، بائن من خلقه، غير مماس من خلقه[6]، ﴿لَيْسَ كَمِثْله شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7].

قال أبو جعفر الطبري: (الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه: ومنها: العلوّ والارتفاع، كقول القائل، استوى فلان على سريره، يعني به علوَّه عليه،

---

(١) سورة طه (الآية: ٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي: (٤١٢/١، ٥٠١/١).

(٣) سورة، طه (الآية: ٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (١٨/ ٢٧٠).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ط١، ١٤٢٣ هـ،(٢٧٢/٢).

(٦) تفسير الإمام الشافعي: (١٠٦٣/٣).

(٧) سورة الشورى (الآية: ١١).

.....

وهذا الوجه هو أولى المعاني علا عليهن وارتفع)[١]، وقال البغوي: الاستواء على العرش صفةٌ لله تعالى بلا كيفٍ يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل[٢]. وسأل رجلٌ مالك بن أنسٍ عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، كيف استوى؟ ثمَّ قال:(الاستواء غير مجهولٍ، والكيف غير معقولٍ، والأيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، وما أظنك إلاَّ ضالاً، ثمَّ أمر به فأخرج)، وروي عن سفيان الثوري والأَّوزاعي والليث بن سعدٍ وسفيان بن عينية وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: (أمروها كما جاءت بلَا كَيْفٍ)[٣].

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: وأمّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾، (فالناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنّما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأَّوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بْن حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْن رهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، لا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإنَّ الله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بل الأَّمر كما قال الأَّئمة. منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد مَا وَصَفَ اللَّهُ به نَفْسَهُ، فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٤٢٦/١).

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (١٩٧/٢).

(٣) تفسير البغوي: (١٩٧/٢) . ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي القاسمي من آل الوزير (ت ٨٤٠هـ)، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤١٥، ٤(/١٢٧).

.....

لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى)[١]. حكى أبو أبو عمر بن عبد البر عن أبي عبيدة في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى﴾[٢]، أي علا وارتفع [٣].

القول الثاني: قالوا الاستواء بمعنى الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف واللغة العربية تتسع ذلك واستدلوا بقول **الاخطل**[٤]:

استوى بشر على العراق ..... من غير سيف ودم مهراق[٥]

أو بمعنى قصد واقبل، ﴿عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى﴾ أي: أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك، سئل أبو العباس أحمد بن يحيى[٦]، عن قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى﴾[٧].

فقال: الاستواء الإقبال على الشيء[١]. بأن المعنى أقبل على خلق العرش فإن هذا لا يعرف في لغة العرب بل ولا غيرها من الأمم أن من أقبل على الشيء يقال

---

(١) تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٩ هـ،(٣٨٣/٣).

(٢) سورة طه (الآية ٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح هشام سمير البخارين، دار عالم الكتب، الرياض– السعودية،(د.ط)،١٤٢٣هـ (٢٢٠/٧).

(٤) تاج ا لعروس من جواهر القاموس: محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٣٣١/٣٨)، مادة: (سوى).

(٥) لم يوجد في ديوانه انما نسبه اليه الزبيدي في تاج العروس.

(٦) ثعلب:(ت٢٩٢هـ).

(٧) سورة طه (الآية: ٥).

.....

قد استوى عليه ولا يقال لمن أقبل على الرحل قد استوى عليه ولا لمن أقبل على عمل من الأعمال من قراءة، أو كتابة، أو صناعة قد استوى عليها ولا لمن أقبل على الأكل قد استوى على الطعام فهذه لغة القوم وأشعارهم وألفاظهم موجودة ليس في شيء منها ذلك البتة[٢].

فالاستواء على العرش: هو سرير الملك مما يردف الملك، جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك، وإنْ لم يقعد على السرير ألبته، وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤدّاه وإنْ كان أبسط وأدلّ على صورة الأمر[٣]. ثمّ استوى على العرش إمّا أنْ يكون استوى بقهره وغلبته وإمّا أنْ يكون استوى بمعنى استولى إنْ صحت اللفظة في اللسان [٤]، فقد قيل في قول الأخطل انفاً[٥].

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تح عادل أحمد عبد الموجود معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ١٤١٥هـ ، (١١١/١).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ، (١٩١/١).

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت تح: عبد الرزاق المهدي،(٥٤/٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣هـ، ط١،(١١٨/٣) .

(٥) تاج العروس : (٣٣١/٣٨)، مادة: (سوى).

.....

الترجيح: مما سبق يتبين لنا أنّ الإمام النَّووي رحمه الله تعالى يرى أنّ اتباع منهج المتقدمين السابقين من السلف الصالح ولا سيما الائمّة أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة وغيرهم في الإيمان بالأسماء والصفات من دون تأويل ولكن تميز عنهم بانه ذهب الى جواز تأويلها متبعا بذلك أقوال أئمة لهم معرفة وقدم راسخ في مسائل العقيدة والفكر فذهب الى جواز تأويلها عند الضرورة.

وبعد عرض آراء الفريقين تبين أنّ الاستواء يحتمل معاني عديدة ولكن إنْ تعديه الفعل ب(على) لا يفيد إلاَّ معنى واحد وهو الاستعلاء والاستقرار تقول استوى زيد على السطح، أي علا عليه واستقر وللاحاديث الواردة في ذلك ولقول الائمة ومنهم الإمام مالك.

.....

المطلب الثالث:

آراء الأمام النووي (رحمه الله) التفسيرية في معنى الفطرة:

قال الامام النووي:(الفطرة هي السنة)[١].

أولاً: تعريف الفطرة لغةً واصطلاحاً:

الفطرة لغةً: تأتي الفطرة في اللغة لعدة معانٍ وإنّ المعنى اللغوي له ارتباط بالمعنى الاصطلاحي، فالفطر من الصوم. يقال: أفطر إفطاراً، وقوم فطر، أي مفطرون. ومنه الفطر، بفتح الفاء يكون الحلب بإصبعين. والفطرة: الخلقة[٢]، والفَطْرُ: الابتداء والاختراع[٣] ، والفُطْر: ضربٌ رديء من الكمأة، والفطر، بالفتح: الشق، وقيده بعضهم بإنّه الشق الأول، وفطور شقوق[٤]،

وفي التنزيل العزيز: ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾[٥]، ومنه الفَطر في العجين، يقال: فطرت المرأة العجينَ حتى استبان منه الفُطْر[٦].

الفطرة اصطلاحاً: الجبلَّة المتهيئة لقبول الدين[٧].

---

(١)المجموع شرح المهذب: (٢٨٤/١).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: (٥١٠/٤)، مادة: (فطر).

(٣) صحاح اللغة تاج العربية: (٧٨١/٢).

(٤) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)، تح : حسين بن عبد الله العمري، واخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، (٥٢١١/٨).

(٥) سورة الملك (الآية:٣).

(٦) ينظر: تاج العروس: (٣٢٥/١٣)، مادة:(فطر).

(٧) ينظر: التعريفات: (١٦٨/١).

.....

ثانيا: المعنى العام للآيات الواردة بالفطرة : قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾[1]. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[2].

إنّ فطْرَةَ اللَّه الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع اللّه في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))[3]، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه أي: لا أحد يبدل خلق اللّه فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه اللّه، ذَلِكَ الذي أمرنا به الدّينُ الْقَيّمُ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى اللّه وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنَّه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ فلا يتعرفون الدين القيم وإنْ عرفوه لم يسلكوه [4].

رابعاً: رأي أهل التفسير في الفطرة:

اختلف المفسرون في معنى الفطرة، فذهب الطبري في تفسير قَوْلُهُ: ﴿هَلْ تَرَى منْ فُطُورٍ﴾[5]، يَعْني: شُقُوقا وَصُدُوعا، يُقَالُ: سَيْفٌ فُطَارٌ: إذَا كَثُرَ فيه التَّشَقُّقُ، وَهُوَ عَيْبٌ فيه، وَمنْهُ يُقَالُ: فَطَرَ نَابُ الْجَمَل: إذَا تَشَقَّقَ اللَّحْمُ فَخَرَجَ، وَمنْهُ قَوْلُهُ: ﴿تَكَادُ

---

(١) سورة الانعام (الآية: ٧٩).

(٢) سورة الروم (الآية :٣٠).

(٣) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، (١٠٠/٢)،رقم الحديث: (١٣٨٥).

(٤) ينظر: تفسير السعدي ،(٦٤٠/١).

(٥) سورة الملك (الآية :٣).

.....

السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ منْ فَوْقهنَّ﴾[1]، أَيْ يَتَشَقَّقْنَ وَيَتَصَدَّعْنَ [2]،عَنْ عِكْرِمَةَ: (قَالَ: الإسلام)[3]، وذهب الإمام القرطبي أنَّ الفطرة هي الدين، والإسلام وكذلك الشقوق وكذلك بمعنى البدء والسنه قَوْل اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَآ﴾[4]، قَالَ: (الدين الله)[5] ، وإذا جاءت لفظة فطر على وزن فاعل (فاطر) تكون بمعنى فعل ابتداء﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[6] ، خالقهما ابتداء لا على مثال سبق، والفطرة: ابتداء الخلقة. قال ابن عباس:(كنت لا أدري ما: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[7] حتى احتكم إلى إعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأت حفرها). وقال ابن الأعرابي:(يقال: هو أول من فطر هذا)، أي: ابتدأه [8].

فطْرَتَ اللَّه، دينَ اللَّه وَهُوَ نُصبَ عَلَى الإغرَاء أَيْ الزم فطْرَةَ اللَّه، الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، أَيْ خَلَقَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَهَذَا قول ابن عباس وجماعة من الْمُفَسّرينَ أَنَّ الْمُرَادَ بالْفطْرَة الدّينُ وَهُوَ الإسْلَامُ . وَذَهَبَ قَوْمٌ إلَى أَنَّ الآية خَاصَّةٌ في الْمُؤْمنينَ وَهُمُ الَّذينَ فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الإسلام[9] .

---

(١) سورة مريم (الآية: ٩٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٧٦/٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري ،(٤٩٤/٨).

(٤) سورة الروم (الآية: ٣٠).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ، (٢٤/١٤).

(٦) سورة الانعام (الآية: ١٤).

(٧) سورة الانعام (الآية: ١٤).

(٨) الوسيط للواحدي: (٢٥٦/٢).

(٩) تفسير البغوي: (٥٧٧/٣).

.....

الفطرة: الخلقة: آلا ترى إلى قوله: ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ﴾[1] ،والمعنى: أنَّه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام[2] .

ومنها قول بعضهم في الفطرة الملة على أنَّه قد قيل في الفطرة الدين وتأول قوله (فطر الناس) على الخصوص أي: المؤمنين وقيل (الفطرة) هو العهد الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين أخرجهم نسماً من ظهره ونحوه حديث معاذ بن جبل حين مر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:(يا معاذ ما قوام هذه الأمة قال الإخلاص، وهو الفطرة التي فطر الله النَّاس عليها والصلاة وهي الدين والطاعة وهي العصمة) [3].

وفي الحديث أن ((كل مولود يولد على الفطرة))[4]. أي الخلقة التي خلقه الله، وقيل معناه أنَّ كل مولود في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين، ثم تمثل لإولآد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فينحرفون عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة، بقوله في الحديث نفسه ((كما تنتج بهيمة جمعاء))[5]، أي كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها

---

(١) سورة الروم (الآية: ٣٠).
(٢) تفسير الزمخشري: (٤٧٩/٣).
(٣) المحرر الوجيز: (٣٩١/٤).
(٤) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، (١٠٠/٢)، رقم الحديث: (١٣٨٥).
(٥) المصدر نفسه: (١٠٠/٢).

.....

شيء وقوله ايضاً ((هل تحسون فيها من جدعاء))[١]. يعني هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الإذن والأنف[٢].

خامساً: أقوال الفقهاء في معنى الفطرة:

فَإِنَّ الفقهاء اخْتَلَفُوا في معنى الفطرة، (فَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهَا بالسُّنَّة الْقَدِيمَة الَّتي اخْتَارَهَا لأَنْبِيَائه وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الشَّرَائعُ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا أَمْرٌ جبلّيٌّ فُطرُوا عَلَيْه، وَمنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهَا بالْخصَال الَّتي يَتَكَمَّلُ بهَا الأنسان بحَيْثُ يَصيرُ بهَا عَلَى أَشْرَف الأوصاف، وَمنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهَا بالدّين)[٣]، لحديث ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفطْرَة))[٤]، وقيل الإسلام قاله عامة السلف لقوله تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾[٥] أي دين الله ولقوله في الحديث نفسه كما تناتج الابل من بهيمة جمعا هل تحس من جذعا أي خلقت سليمة من العيوب، وكذلك المولود خلق سليما من الكفر، وقيل البدأة أي كل مولود يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء، أو السعادة، والفاطر المتبدئ ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ((لما سئل عن أطفال المشركين الله أعلم بما كانوا عاملين))[٦]، وقال الله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[٧]، وقيل الفطرة الإيمان طوعا وكرها لأنه تعالى لما قال

---

(١) المصدر نفسه: (١٠٠/٢).

(٢) ينظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ، (٢٠٩/٥).

(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي، (ت ١١٢٦هـ)، دار الفكر،(د.ط)، ١٤١٥هـ،(٣٠٥/٢).

(٤) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، (١٠٠/٢)، رقم الحديث: (١٣٨٥).

(٥) سورة الروم (الآية: ٣٠)

(٦) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، (٢/ ١٠٠)، رقم الحديث: (١٣٨٣).

(٧) سورة الأعراف (الآية:٢٩، ٣٠).

.....

للذرية يوم البذر ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ ﴾ [1] فأهل السعادة قالوها عن علم وأهل الشقاء قالوها عن إكراه وجهل يؤيده قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[2]، قالوا: وهو معنى قوله تعالى ﴿كما بدأكم تعودون﴾[3]، ذكر الأثرم: معنى على الفطرة: على الإقرار بالوحدانية حين أخذهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؛ قالوا: بلى، وبأن له صانعا[4]، فَقَالَ: ((وَمنْ الْفطْرَة خَمْسُ))[5] ، خصَالٍ إحْدَاهَا: حُكْم الْختَان، وفي بَيَان حُكْم حَلْق الشَّعْر الَّذي يُؤْذَنُ في حَلْقه وَمَا لَا يُؤْذَنُ في حَلْقه، وَذَكَرَ هَذَيْن مَعَ دُخُولهمَا في الْفطْرَة، و ((قَصُّ الشَّارب))[6]، فَإِنَّهُ سُنَّةٌ خَفيفَةٌ[7].

هل الأطفال يولدون على الإسلام أم على الكفر؟

فمنهم من ذهب على أنهم يولدون على الإسلام، و يصيرون الى الجنة، واستدل على ذلك بقول النبي صلى الله عليه و سلم في حديث أبي هريرة: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه))[8]، الحديث، فجعل الفطرة الإسلام، و جعل الحديث على العموم، اذ قد روى، أيضا : ((ما من مولود إلاَّ يولد

---

(١) سورة الأعراف (الآية: ١٧٢).

(٢) سورة ال عمران (الآية: ٨٣).

(٣) الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، تح: محمد حجي واخرون، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١ ،(٣٣٠/١٣).

(٤) ينظر: معونة أولى النهى المنتهى: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلي الشهير بابن النجا (ت ٩٧٢) هـ، تح: عبد الملك بن عبد الله دهيش (٣٥٢/٤).

(٥) صحيح البخاري: باب قص الشارب، (١٦٠/٧)، رقم الحديث: (٥٨٨٨).

(٦) المصدر نفسه: (١٦٠/٧).

(٧) ينظر: الفواكه الدواني: (٢ /٣٠٥) .

(٨) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين،(١٠٠/٢)، رقم الحديث: (١٣٨٥).

.....

على الفطرة))[١]. ومنهم من ذهب الى أنهم لا يولدون لا على كفر، و لا على ايمان، و أنهم ،يصيرون الى ما سبق لهم في علم الله من شقوة أو سعادة[٢]، فلا يحكم على واحد منهم بجنة و لا نار[٣]، وقيل: أنّ المراد بالفطرة : الخلقة التي خلق الله الناس عليها، لا الإسلام الذي أوجبه الله عليهم عند البلوغ، وأنّ المعنى المراد به: أنّ المولود يولد على الخلقة السلمية من الآفات ، الذي لو ترك وسوقها لاختار بها الإسلام على غيره من النحل والأديان؛ لوضوحه، فأبواه إنْ كانا يهوديين، أو نصرانيين، يهودانه أو ينصرانه، أي يحملانه على اليهودية أو على النصرانية، فيعرف بذلك، كما تنتج الابل سالمة الخلقة، فتثقب أنوفها، وتشق آذانها، لتعرف بذلك ، فيقال: هذه بحائر[٤]، وهذه سوائب[٥]. ويؤيد هذا التأويل ما جاء بالحديث القدسي ((أنَّي خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين، فاختالتهم عن دينهم))[٦]، دينهم))[٦]، لأنَّ الحنيف ، في كلام العرب، المائل ، فمعنى الحديث: إنّ الله خلق عباده ميلاء إلى الدين، بالجبلة التي فطرهم الله عليها، فلولا الشياطين، الذين يغرونهم عن الدين لكان جميعهم مسلمين، وهو معنى قول الله عز وجل: ﴿ فَأَقِمْ

---

(١) المصدر نفسه: (١٠٠/٢).

(٢) ينظر: معونة أولى النهى شرح المنتهى: (٣٥٢/٤).

(٣) مسائل ابن رشد: (٤٥٤/١).

(٤) البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، لسان العرب: (٥٢٢/١).

(٥) مسائل ابن رشد: (٤٥٤/١). والسائبة التي تسبب فلا ينتفع بظهرها ولا لبنها، كتاب العين: (٢٢٠/٣).

(٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (ت ٣٥٤هـ) ، تح: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣، (٤٢٥/٢)، رقم الحديث: (٦٥٤)، قال الشيخ الالباني: صحيح، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: باب الخوف والتقوى، (١٠٥/٢)، رقم الحديث:(٦٥٣).

.....

وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

وقد تعلق بهذا الحديث من ذهب إلى أنّ جميع الأطفال يولدون على الإسلام، بأنّ أول الفطرة في الإسلام، وجعل خبر كل مولود في يولد على الفطرة فحمل الحديث على ظاهره من العموم. وتعلق به، أيضا، من ذهب إلى أنَّ منهم من يولد على الإسلام، ومنهم من يولد على الكفر، بأنْ تأول الفطرة، أيضا، على الإسلام، وجعل يولد على الفطرة من صفة كل مولود والخبر فيما بعد ذلك من قوله ((فأبواه يهودانه أو ينصرانه))[2]. وهذا كله غير صحيح لما قد بيّناه من استحالة وصف من لا يعقل بكفر، أو إيمان، ولو تحقق أنّ المراد بالفطرة المذكورة في الحديث، الإسلام، وأنَّ الناس أجمعوا على أنَّه لا يرث مسلم كافراً ، ثم أجمعوا على أنَّه إذا مات يهودي، أو نصراني، أو مجوسي، وله أولاد أطفال أنَّهم يرثونه، ولو كان معنى الفطرة الإسلام لما ورثوه، فدل على أنَّه لا يحكم بإسلام الطفل مع حياة أبويه على الكفر[3]، أنَّ المعنى في ذلك: كل مولود يولد لفطرة الإسلام، أي ليؤمن بذلك، ويتعبد به[4]، كما تقول في قول الله عز وجل، ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[5] .

ويدل على هذا التأويل حديث الأسود بن سريع، قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أربع غزوات، فتناول أصحابه الذرية، بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك

---

(١) سورة الروم (الآية: ٣٠).

(٢) صحيح البخاري: (١٠٠/٢)، رقم الحديث: (١٣٨٥)، باب ما قيل في أولاد المشركين .

(٣) المستوعب: نصير الدين محمد بن عبد الله السامري الحنبلي (ت ٦١٦) ،تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش مكة المكرمة، (د.ط) ، (د.ت) ،(١٢٥/٢).

(٤) ينظر: مسائل ابن رشد: (٤٦٠/١).

(٥) سورة الذريات (الآية: ٥٦).

.....

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتد عليه، فقال: ((آلا ما بال أقوام قتلوا المقاتلة، ثم تناولوا الذرية، فقال رجل: يا رسول الله، أليسوا من أبناء المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ خياركم أبناء المشركين، إلاَّ أنَّه ليست تولد نسمة إلاَّ ولدت على الفطرة ، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهودانها أو ينصرانها))[١]. وموضع الدليل منه: قوله فيه أنَّ خياركم أبناء المشركين فأخبر أنَّه قد يكون من أبناء المشركين من ينصره أو يهوده أبواه[٢] . قول النبي صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة))[٣]. لا يدل على كون الأطفال الصغار، قبل أنْ يعقلوا ، مسلمين ، قوله في آخر الحديث :((الله أعلم بما كانوا عاملين))[٤]. فأخبر أنّهم في المشيئة فلو كان معنى قوله ، في أول الحديث أنَّهم يولدون على الفطرة ، أنَّهم يولدون على الإسلام، لما قال في آخره: إنَّهم في المشيئة اذ قد علم من دين الإسلام ضرورة أنَّ من مات على الإسلام فمصيره إلى الجنّة [٥].

---

(١) شرح مشكل الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الطحاوي (ت ٣٢١هـ) تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ – ١٤١٥ هـ، (١٣/٤)، اسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) ينظر: المغني: محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عالم الكتب، الرياض – السعودية، ط٣، ١٤١٧هـ.

(٣) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، (١٠٠/٢)، رقم الحديث: (١٣٨٥).

(٤) صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، (٢/ ١٠٠)، رقم الحديث: (١٣٨٣).

(٥) ينظر: مسائل ابن رشد: (٤٦١/١).